

## التواصل الديني ما بين الجزائر والباب العالي

ما بين 1791-1830

Religious communication between the Ayla of Algeria  
and the Ottomane State Between 1791/1830

د. سيدهم فاطمة الزهراء \*

جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر/الجزائر

fatima.sidhoum@univ-mascara.dz

تاريخ القبول: 2021/06/24

تاريخ المراجعة: 2021/06/10

تاريخ الإرسال: 2021/05/06

### المخلص:

منذ أن ضمت الدولة العثمانية الجزائر سنة 1518م إلى حظيرة الإمبراطورية العلية، والعلاقة قائمة بينهما في مجال التواصل الديني والثقافي والاجتماعي والسياسي. ورغم اختلاف مذهب العثمانيين الحنفي، ومذهب الأهالي المالكي، ظل المجتمع الجزائري محتفظا بقيمه العربية الإسلامية التي تُشرف عليها الهيئة الإسلامية التي تتولى مراقبة القضاء والشؤون الدينية والتعلّم والأوقاف بجميع أصنافه. يعتمد المشروع الإسلامي في الجزائر على مؤسسة الوقف الإسلامي التي لها أبعادها الإنسانية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، مما ساهم في تغذية الحضارة الإسلامية ورعى مسيرتها، وحافظ على ثراء عطائها، وكان له دور بارز في تكوين الطلبة والعلماء، وفي إنشاء المساجد والمدارس والكتاتيب التي شاركت في نشر الثقافة الإسلامية، برزت أهمية أوقاف مؤسسة الحرمين الشريفين ومختلف المؤسسات الإسلامية الأخرى في تمكين التواصل الديني والاجتماعي والثقافي بين الجزائر والدولة العلية. كلمات المفتاحية: التواصل الديني، الدولة العلية، إيالة الجزائر، الهيئة الإسلامية، كتاتيب، الوقف، التصوف.

\* د. سيدهم فاطمة الزهراء، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر/الجزائر

Since the annexation of Algeria in 1518 by the ottoman state ,within the ottoman empire ,a religious, cultural, social and political relationship has been established between them.

In spite of a difference between the Hanifi rite of the Ottomans and the Maliki rite of the Algerians society, preserved the Arab \_islamic values under the aegis of the Islamic council which assumed the control of the legal problems, the religious affairs, the religious education and various donation .

The Islamic project in Algeria was based on the Islamic foundation, which had human, educational, social, economic, and cultural visions; this made it possible to enrich Islamic civilization and manage its development

Also, the importance of donations from the institute of Holy places and various Islamic institutions stood out in strengthening religious, social, cultural ties between Algeria and the Ottomane state.

**Key-Words :**communication ;Ottomane; Empire; regency; Arab islamic values; religious education ; various donation.

- مقدمة:

بعدها انتشر الدين الإسلامي في الديار التركية أصبح هو الدين الرئيس في البلاد، وانتشرت معه اللغة العربية، ودخلت الكثير من المفردات العربية إلى اللغة التركية. وبسم العقيدة الإسلامية والولاء للسلطان دخل الجزائريون في الرابطة العثمانية، وربطوا مصيرهم في الغالب بمصير الأهالي، إلا أنهم اعتبروهم فئة أقل شأنًا منهم، ولم يشاوروهم في الحكم، ولم يفتحوا أمامهم المناصب الحساسة في الإدارة والجيش. وكان الأتراك يشكلون طبقة الأسياد تجمعت بأيديهم ثروة البلاد. حافظ العثمانيون على نظام الوقف والشؤون الإسلامية العامة بالجزائر وعينوا مُفتيًا مالكيًا يتولى شؤون البلاد يأتي في المرتبة الثانية بعد المُفتي الحنفي.

1- الهيئة الإسلامية:

ظهر العلماء كفئة متميزة في المجتمع الإسلامي منذ أن استولى على شؤون الدولة حكام جهلة ليس لهم صلة بالحضارة الإسلامية ولا باللغة العربية ولا بأمر الدين،

وذلك منذ أن ضعفت الدولة الإسلامية وجهل الحكام هو الأمر الذي أدى إلى ظهور فئة العلماء الذين سدوا الفراغ كمستشارين ومُشرّعين ومُفسّرين. وأصبح شعارهم أنهم هم "حماة الدين". (بوعزيز ، ي، 1991:394).

كانت للهيئة الإسلامية التي أنشأها العثمانيون في الأستانة أهمية كبرى، فقد كانت الدعامة الأساسية في نجاح المشروع الإسلامي. كانت هذه الهيئة مستقلة عن السلطة التنفيذية لكون الحكام لم يكن لهم وقت للنظر في الشؤون الدينية، فأكلوا الأمر إلى هيئة مستقلة إداريا وماليا. ومن مهامها مراقبة القانون ومدى تطابقه مع الشريعة المحمدية ومراقبة القضاء، والشؤون الدينية، والتعليم. (غالي ، غ، 2007:32)

وكان أفراد الهيئة المستقلة عن الحكومة يتقاضون أجورهم من إيرادات الأوقاف الخيرية، كما كان ينفق على مختلف المنشآت الدينية والتعليمية والاجتماعية من هذه الواردات.

بعدما صارت الدولة العثمانية تشمل سبع بحار وأمصار عديدة، وامتزجت روح الشرق بروح الغرب، واجتمعت فيها نظم سياسية مختلفة، وقوانين وعادات متباينة، جمعت هذه المناطق بين أتباع المسيحية والإسلام. ولما كان السلاطين يستأثرون بشؤون الحكم من سياسة واقتصاد وجيش وإدارة تاركين القضايا الأخرى التي لها مساس مباشر بالدين في أيدي فئة من مجموعة لعلماء، وهو ما يسميه الأوربيون الفصل بين الدين والدولة. (كيدو ، أ، 1992:65) أضافوا من القوانين المستمدة من العُرف ومن حضارات أخرى ومن حالات الضرورة، وأصبحوا هم كحكام مُشرّفين على تنفيذها. ومن ذلك بدأ الفصل في تطبيق الأحكام في الدولة العثمانية. (بوعزيز ، ي، 1991:350). كانت الأستانة ترسل إلى أقاليم الدولة باشوات يمثلون السلطان ويرافقهم قاضي حنفي ليفصل في أمور الدين بين الرعية والجيش. وكان قضاة العسكر يأتون في الترتيب بعد العلماء الكبار، قضاة العاصمة، وعواصم الولايات، ثم العلماء الصغار الذين أسند إليهم القضاء في عشر مدن من مدن الولايات مثل بغداد وصوفيا. (سيد ، م، 2000:171).

حسب القوانين القديمة للدولة العلية كان الشخص الذي يحتل منصب المُفتي أولا ومنصب قاضي عسكر الروملي أو الأناضول يتم اختياره من بين الأشخاص

الأكثر علما والأشد خوفا من الله، لأنه يعتبر خليفة الرسول، وهو الذي يبين الحلال والحرام ولا يسكت عن منكر ولو كان من كبار المسؤولين.

ولما كانت هذه مواصفات المفتي الذي لا يقوم إلا بتطبيق الأحكام المحمدية، (عبد المنعم، ف، أ، 1417هـ: 25-34) لم يكن ليُخلع من منصبه بالمرة، لأن هذه الدرجة هي الأعلى في العلوم. ولما انطفأ العلم وانقلبت القوانين، وانتشر الفساد حتى في المؤسسة الدينية، مُنح المنصب لأناس ليست لهم كفاءة ولا دراية بشؤون الدين والعدالة، وأسند المنصب لغير أهله من ذوي الاختصاص، وانتقلت العدوى إلى الملامين الذين ليسوا إلا كتابا، وإلى غيرهم من الأشخاص الذين يصيرون بواسطة المال والجاه مدرسين وقضاة. (كيدو، أ، 1992: 18)

تشكل الهيئة الإسلامية من شيخ الإسلام (تعليق 1) وهو أعلى منصب ديني، وقد لعب دورا سياسيا ودينيا هاما، باعتباره الشخصية الأكثر مهابة وتقديرا في الدولة بعد السلطان مباشرة، فهو الذي يُصدر فتاوى تتناول مسائل تتصل بالسياسة العليا للدولة، كإعلان الحرب على الدول المعتدية، أو التنازل عن أقاليم، أو عزل السلطان، والتأكيد على مطابقة القوانين وعدم مخالفتها للشريعة الإسلامية. ومن مهامه كذلك الإشراف على القضاة في سائر أنحاء الإمبراطورية للنظر فيما استجد من أمور دينية واجتماعية على السكان والوجاق على حدّ سواء بسبب التوسع الإقليمي للدولة.

وقد وردت كلمة شيخ الإسلام لأول مرة كلقب شرف في النصف الثاني من القرن الرابع هجري (10 ميلادي). ويعتبر شمس الدين فناري (751-834هـ/1351-1431م) أول رجل يحمل رسميا لقب المفتي الأكبر. كان الصدر الأعظم وشيخ الإسلام يقفان في صف واحد، وفي بعض الأحيان يتقدم على الصدر الأعظم، لأن شؤون الدولة مبنية على الدين الذي هو الأساس، ويأتي المفتي في المرتبة الثانية بعد السلطان. (كيدو، أ، 1992: 24-39) أنشأت الدولة ثلاث مناصب لقاضي القضاة، الأول خاص بالأناضول، والثاني بالروملي، والثالث بالأقاليم الإفريقية. (كيدو، أ، 1992: 11) بالإضافة إلى هذه الطبقة من القضاة هناك طبقة تعرف بفئة المولى الكبير Moula Kabir، الذين كان عددهم سبعة عشر قاضيا، ويشرف شيخ الإسلام على تعيينهم في مناصبهم بعد اجتياز

الامتحانات الخاصة بالسلك. (غـالي، غ، 2006: 33) زيادة على هاتين الفئتين من العلماء، هناك طبقة علماء السنة الملحقين بجناح السلطان، ويليهم القضاة الذين بلغ عددهم في نهاية القرن 18م إلى 450 قاضيا، ثم يليهم المفتون الذين يعينون في المدن المهمة بجانب القضاة. ويتبع هذه الهيئة كذلك موظفو المساجد. وكان شيخ الإسلام يباشر مهامه في إدارة باب المشيخة حيث يُصدر فتوى.

تمتع أفراد الهيئة الإسلامية بالحصانة ضد العزل والنقل وتزليل الرتبة، ولشيخ الإسلام (زكريا، أ، 2019: غير مرقمة) صلاحيات مراقبة الوالي والدفتر دار وجميع موظفي الجهاز الإداري، ويتمتع أعضاء الهيئة بالإعفاء من دفع الضرائب، ولا تتعرض أملاكهم للمصادرة من قبل هيئة الحكومة.

بعدما استفحل الضعف في جميع مرافق الدولة العثمانية، أصبحت الهيئة الدينية العليا، بدء من شيخ الإسلام ومرورا بأغلب موظفي الهيئة حبيسي القرارات الإدارية التي تلزمهم التقيد بإتباع مراحل معينة لأداء مهامهم. بعدما توسعت رقعة الدولة، وكثرت القوانين التي أصدرها سليمان القانوني، وأخذت الدولة منذ ذلك الوقت تأخذ بالرسميات، وأخذت تلقي بالشغب بين العلماء برتب اختراعها وجرايات مُغرية، أصبح معظمهم يثنون على السلطان وحاشيته. وسهل بعد ذلك ربط العلماء بمغريات الوظيفة، وأصبح المفتون يُخفون الحقيقة على السلطان. كان السلاطين في القرن السادس عشر (16) يختارون شيوخ الإسلام غالبا من بين قضاة العسكر، وفي المراحل اللاحقة كان شيخ الإسلام يُختار من بين قضاة الروميلي. ومدة خدمة الشيخ كانت مرتبطة بمقدرة صاحبها على بالوضع السياسي. (كيدو، أ، 1992: 41)

بعدما بدأ الانحطاط باديا على كيان الدولة العثمانية، وصل الوهن إلى المؤسسة الدينية وانغلقت على علماء المجتمع، وأصبحت الوظائف الدينية تورث كما تورث الأموال وهذا عامل مهم في إضعاف طلب العلم. (غالي، غ، 2006: 36). وبعدها انخرط شيخ الإسلام (زكريا، أ، 2019: دون ترقيم الصفحات) في هذا المنحى تحول دوره الديني إلى كسب الأموال، وأصبحت المناصب الدينية تورث لغير أهل العلم والكفاءة.

أدت هذه الوضعية التي آلت إليها وضعية ومكانة المفتي من تدهور وسكوت عن الحق ومدّ الأيدي لأخذ ما ليس بحق، التقليل من مكانة المفتي من طرف السلطة والعامّة على السواء ولما ظهرت إصلاحات السلاطين الهادفة إلى تغيير ما يمكن تغييره لاستمرار الحياة في الدولة العلية، تزعم كثير من رموز الدولة وعلماؤها حركة مضادة للإصلاحات، (سلطاني، أ، 2018: 206) لأنها كانت تهدف إلى تغيير سلوك وممارسات كثير من قادة وموظفي الدولة، الذي دفع بهم الجشع والطمع إلى استبدال القيم الإسلامية والوطنية بما تذرّه عليهم وظائفهم، غير مباليين بمصلحة الأمة. كان القاضي الحنفي (بوخالفة، و، 2018-2019: 25) يحظى بمكانة عالية في النظام العثماني لكون مذهب الدولة حنفي، فهو الأول في الرتبة يليه المفتي المالكي في الرتبة، والمذهب المالكي هو مذهب الأهالي بالأقاليم. تعددت مهام المفتي حيث أوكل الباب العالي للحاج محمد العنابي الجزائري (1775-1850م) (سلطاني، أ، 2018: 206) بعض المهام المولوية لصالح أوجاق الغرب، تمثلت في نقل أموال من الأستانة لتوزيعها على أوجاق الجزائر حسب رغبة السلطان بعد نكبة الجزائر التي تسبب فيها القصف البريطاني الهولندي في عام 1816م، وما أصاب البلاد من دمار وخراب، (بن عيسى، ف، 2020: 239) زاد السكان بؤسا بعد انتشار المجاعة والأوبئة جراء الجفاف الذي أصاب البلاد في تلك الفترة، مما اضطر الناس إلى مغادرة العاصمة إلى الريف بحثا عن الغذاء والأمن. واضطر الداوي عمر (1770-1817) إلى عقد الصلح مع البريطانيين بالشروط التي أملاها قائدا أسطول البريطاني، التي أقل ما يُقال عنها أنها مُهينة. (عطية محمد، 2017: 307) ونتيجة ما لحق الأقاليم من خسائر، أصدر الباب العالي أمرا بالسماح لوكلاء الجزائر تحرير الجنود والعساكر من أزمير وضواحيها (خط همايون عدد 39544 - سنة 1239)

## 2-التصريف وتأثيره على المجتمع:

دخل الأتراك في دين الإسلام منذ القرن التاسع ميلادي، وشكلوا قوة لا يستهان بها في المنطقة، وبانتشار الإسلام انتشرت اللغة العربية في جميع الأصقاع التركية، وأصبحت لغة العلم، وباتت مناطق عديدة من الدولة العثمانية مثل حلب وحران والموصل مراكز مهمة للثقافة العربية، لكن اللغة التركية كانت هي اللغة

الرسومية للدولة العثمانية (تميمي، ع، 1988: 346-347).  
كان العثمانيون في تكوينهم الديني والنفسي والحربي من أتباع الطرق الصوفية .  
فالطريقة البكداشية كانت منذ ظهورهم تقودهم وتحمهم وتدفع بهم إلى الجهاد  
والغانم، وتبارك أعمالهم وتحثهم على مجاهدة الكفار، فكانوا يدينون لمرابطيها  
ورجالها بالولاء ويتبركون بهم. (سعد الله، أ، ق، 1981: 464).  
وجد التحالف بين العثمانيين ورجال الصوفية مبررات كثيرة أوجدها الظروف  
السياسية والاقتصادية والدينية التي كانت عليها الأمة الجزائرية آنذاك وشعر  
العثمانيون بأن المرابطين هم اقرب الناس إليهم، وكانوا منذ البداية يطمنون إليهم  
حيث يلجئون إليهم للتبرك. شاع في الجزائر التحالف بين العثمانيين والمرابطين حتى  
عرف الناس أن هناك سياسة مقصودة في هذا الاتجاه فكثرت الأضرحة والقباب،  
ودخلت الطرق الصوفية من بلاد المغرب وتونس والمشرق (جيلالي، ع، 1995: 257)، وجاء  
الدعاة إلى الله واختلط بهم الدعاة المزيفون ينشرون أفكارهم وأورادهم، وأصبح لكل  
منطقة ومدينة أو جهة زاوية وأضرحة يتبركون وقيمون الوعدات والحضرة. وقد  
كانت لهذه الزوايا وأمثالها قبل أن ينحرف بعضها في العصور الأخيرة ليعود الفضل في  
تكوين مجموعة من العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الكريم، الذين كانوا واسطة في  
نقل الإسلام إلى أقصى الجنوب الجزائري وإلى غرب إفريقيا (عقبي، ص، م، 2002: 21).  
وقد أحصى بعض الكتاب عدد الطرق الصوفية التي ظهرت أواخر القرن  
19م (13هـ) فوجد ثلاثة عشرة طريقة من مجموع ست عشرة طريقة. (سعد الله،  
أ، 1981: 486). أما الأستاذ الجيلالي عبد الرحمن فيذكر، نقلا عن ديبون (Depont)  
وكيبولاني (Coppolani)، أن البلاد كان فيها ما لا يقل عن ثلاثة وعشرين (23) طريقة.  
(جيلالي، ع، 1994: 257)

أصبح العلماء والمرابطون يتباهون بأخذ الطرق والأذكار والسبحة والعصا  
والمصافحة، وأظهر الحكام الاحترام والتبجيل لأهل التصوف الحقيقي والكاذب معا،  
السني وأهل البدع والشعوذة رغبة في محاباتهم. وكانت العقيدة عند العثمانيين قوية،  
فالبحارة كانوا قبل خروجهم للغزو يزورون الأولياء لنيل بركاتهم والدعاء لهم، وكانوا  
يطلقون من البحر عند ذهابهم وإياهم طلقات مدفعية بعدد معين احتراما لهم. وإذا

هرب أحد الجناة إلى قبة أو ضريح وليّ فان الملاحقين به يتوقفون عند ذلك ولا يتابعونه لأنه دخل في حرمة الوليّ خوفا من النقمة والعقاب. (سعد الله ، أ، 1978: 47) .  
كان العثمانيين من المعتقدين في كرامات الأولياء، وكانوا يتقربون إلى المرابطين بشتى الوسائل كبناء المشاهد والزوايا والوقوف عليها وتخصيص وقف عليها. وقد عُرف عن الباي محمد الكبير (بلبروات، ب، ع، 2003: 17) أنه اعتنى ببناء مشهد الولي الصالح محمد بن عودة (972-1034هـ) والولي أحمد بن يوسف. (840هـ/1437م - 931هـ/1524م) كما أعفى بايات قسنطينة عددا من الزوايا والأضرحة من دفع الضرائب، وخصصوا منحا معينة للأشراف والمرابطين والعلماء من جزية أهل الذمة. حلت الزوايا التي أنشئت في الأرياف محل زوايا المدن، إذ استطاعت أن تكسب ثقة الجماهير الريفية، وصارت بديلا إلى حد كبير على علماء العلوم الدينية، ونشرت الإسلام الصوفي في الأرياف وفي المدن، ومهدت لانتصار الطرق الصوفية. من بين الطرق الصوفية التي انتشرت في الدولة العلية، الطريقة الصوفية البكتاشية (تعليق 2 رقم)، وهي طريقة صوفية شيعية نشأت في القرن 13م، وتُنسب إلى الحاج بكتاش.

كما انتشر الطريقة المولوية التي تنسب إلى مؤسسها محمد بن حسين بهاء الدين البلخي (1207-1273) المولود ببلخ (أفغانستان)، المعروف باسم جلال الدين الرومي، ومركزها قونة، (عيد، إ، م، 1998: 03)، كما يوجد لها مراكز أخرى في استانبول وغاليبولي وحليز، وتعتبر الجهات التركية "مواسم المولوية" كجزء من الفولكلور إلى يومنا هذا. ومن مبادئ الطريقة التسامح الغير محدود بتقبُّل الآخر. وتعتبر الطريقة المولوية المسؤولة بالدرجة الأولى عن ظهور واستمرار الموسيقى الصوفية في تاريخ الدولة العثمانية، وابتكرت الرقص الدائري بمصاحبة المقامات الموسيقية بمرافقة الآلات الموسيقية مثل الطبول والدفوف والناي، (كرم، م، 2016: لم يذكر الترقيم.)

شكلت حركة هجرة صوفية الأندلس إلى المغرب الأوسط على مدار القرنين السادس والسابع الهجريين، الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، عاملا رئيسيا أدى إلى دخول المصنفات الصوفية ورواجها ما بين المتصوفة (بوناني، ط، 2004: 71)، ولما



ازدهر التصوف في المدن على يد الأولياء انتقل إلى الريف على يد أتباع كبار الأولياء، وهذا ما ساعد على نشر الإسلام وإعادة نشره في الأرياف وجنوب الصحراء، وكان لهذه الطرق الفضل في صهر القبائل في وحدات اجتماعية أكبر، ونجحت في إدماج عنصر العرب بالبربر. وكان هذا عاملا مهما في التمهيد للحركة الصوفية الشعبية التي ستنشر في كامل أرجاء المغرب العربي. ( عبّاد ،ص، 2005:21).

كان للتصوف بوجه عام تأثير كبير على الثقافة الشعبية والفنون، فقد نقلت المرجعيات الصوفية عن الشيوخ والزهاد العبارات والمفردات التي تساعدها في القيام بوظيفتها في نشر الخطاب الديني والروحي والاجتماعي، وحتى السياسي عند غضب رجال الصوفية وثوراتهم ضد الحكم العثماني، في الأوساط الشعبية التي شكلت الخزان والمحرك الأقوى لدواليب الحركة الصوفية، من خلال تركيز الشيوخ عليها، وأصبح العامة يرددون عند قيامهم بكل أعمالهم العبارات التي تدل على تأثير التصوف في الثقافة الشعبية مثل: سيدي، مولاي، مول الساعة، مول السر، الوالي، القبّة، الديوان، الوعدة، الحضرة... وقد ارتكزت هذه الطبوع على أساس الاحتفاظ بالتراث الثقافي والمنظومة الاجتماعية التي غلب عليها الطابع القبلي، مما أفرز تجردا لفكرة أو مبدأ الولاء والخضوع لسلطة الشيخ. ( دويّدة ،ن، 2015 : 12)

إن المتصوف الحقيقي هو الذي تتوفر فيه شروط أساسية، منها معرفة الكتاب والسنة معرفة دقيقة والعمل بهما، والجمع بين العلم والسعي إلى معرفة الله حق المعرفة عن طريق التأمل والتفكير في مخلوقاته وتطهير الباطن قبل الظاهر (بن شهرة ،م، 2004:112) بالإضافة إلى الورع والتجرد من هوى النفس وحب الدنيا والابتعاد عن مغريات السياسة، وأن الصّلاح المؤدي إلى معرفة الله والقرب منه ليس هو التوسط بالشيخ واتخاذ الحضرة والجذب والرقص الدائري والكرامات، لكنه هو إتباع الكتاب والسنة واجتماع الأمة... (سعد الله، أ، 1986:53 )

أشاد كثيرا من الشعراء بالجهة الغربية من البلاد واثنوا على انتصارات المجاهدين من الأهالي والحكام في تصديهم للأسبان وتحرير مدينتي وهران والمرسى الكبير، لأن هذا التعاون والتكاتف بين الحاكم والأهالي يفرض الدين التي ينتسب إليه الجميع، وفي حالة تخاذل الحكام عن نصرته وقيادة المجاهدين فإن العلماء والمرابطين

سيديرون ظهورهم للحكام وحتى يحافظ الحكام على تلك العلاقة أشرك العثمانيون العلماء والطلبة في الجهاد. (Kaddache, M. 2003: 14) وقد اعتبر العلماء الباي محمد الكبير أثناء فتح وهران "نموذج الأمير العادل" الذي تحلم به الجماعة الإسلامية، فتحققت بفضل سياسته وحدة السلطة والجماعة. (غال، م، 2018: 51). حرص الحكام على التحالف مع المتصوفة لمدة تفوق القرنين ونصف القرن حتى نهاية القرن 18 م وبداية القرن 19 م، وبقيت علاقاتهم بالصوفية متميزة، وفي المرحلة التالية وجد الحكام أنفسهم أمام خيار صعب حينما تعرضت البلاد لضائقة مالية بنقص عائدات الغزو البحري ومنع القرصنة وإلغاء الرق في البحر الأبيض المتوسط، فعاملوا رجال الدين بنفس معاملة الأهالي، ومنعواهم من الامتيازات التي منحواهم في الماضي.

أدرك الأتراك الخطر الذي يمثله شيوخ الصوفية، الذين استطاعوا الاحتفاظ بنوع من الحكم الذاتي، إلا أنهم لم يتمكنوا من القضاء على الحكم العثماني لتشتتهم وتفرقهم وعدم القدرة على توحيد شوكتهم، مثل أولاد سيدي الشيخ، وشيوخ عمّور وأولاد مختار والمقراني وأهل عكاز وشيوخ الحنانشة وغيرهم. لذلك بدل الحكام كل ما يملكون من وسائل سياسية وإغراء ومناورات للحيلولة دون أن تتوحد جهودهم، وخلقوا لهم أحقادا وضغائن ومشاحنات، وأنشأوا فرقا متناحرة تُفشل كل محاولة توحيد في المهد بين الشيوخ وأصحاب الطرق الصوفية، وإلصاق بهم تُهم باطلة وكاذبة لكل من الفرق المتخاصمة لتبرير القضاء عليها ودحرها.

وبسبب الجور والظلم اندلعت ثورات عديدة في كامل ربوع البلاد متعددة الوسائل والغايات، فبعضها كانت لها دوافع اقتصادية، وبعضها الآخر كان لها طابع سياسي، كما أن البعض منها كانت نتيجة تمرد أشخاص حبا في المغامرة أو طمعا في الجاه. ومنها ما كان ثورة قبيلة كاملة، وأحيانا ثورة طبقة اجتماعية معينة، وأحيانا أخرى ثورة عائلة أو ثورة جهة. ومن هذه الثورات ما كان قصير المدى محدود المكان أو عام (سعد الله، أ، 1986: 127).

ومن الثورات التي كان لها صدى كبير وتأثير على المستوى الشعبي والرسمي، (هلايلي

حنيفي، 1429هـ/2008م:38) ثورة ابن الأحرش، (عبو، إ.، 2016:209) وابن الشريف، وأحمد التجاني (مزاري، آ. بن ع، السنة لم تذكر:352).

إن هذه الثورات وغيرها التي اندلعت تقريبا في وقت واحد وعمت شرق وغرب وجنوب البلاد لم تكن وليدة الصدفة، لأن اليد الأجنبية كانت منذ البداية تحرك الأفراد وتغذي فيهم إطماع الوصول إلى السلطة والزعامة والانتقام، غير أنها لم تكن دائما السبب في نشوب جميع الثورات. ومن الثورات التي اندلعت في هذه الفترة، ثورة درقاوة التي يُصنفها البعض على أنها ذات طابع ديني كابن سحنون، ومنهم من يصفها بالوطنية التقدمية (بونقاب، م، 2008: 135) كونها هدفت إلى إقرار مساواة تُجسد واقع وجود أمة لا فضل فيها لطبقة على أخرى، لأنها كانت تحارب محاولات السيطرة الأجنبية على الاقتصاد الجزائري، (شـريط، ع، و، ميلـي، م، 1985: 163) في الفترة الممتدة ما بين (1805-1817م) تعاقب على حكم الجزائر ثمانية دايات كانت نهاية ستة منهم مؤلمة (هلايلي، ح، 1427هـ/2006م:199) وبسبب الضغوط المالية وانحياز لاقتصاد وانتفاضة بعض فرق الإنكشارية، اندلعت انتفاضات داخلية قادها مجموعة من رجال الطرق الصوفية والزوايا .

### 3- مكانة الزوايا عند الأهالي:

كثر الزوايا في العهد العثماني بسبب كثرة المتصوفة الذين اتخذوا منازل وبيوت الصلاة لإقامتهم ونشرهم مبادئ طرقهم وأذكارهم. منهم من تولى تعليم الصبية القرآن، أو وظيف معلما يقوم بالمهمة بدلا عنه. وكان مؤسسو هذه الزوايا والمعلمون فيها أصحاب رسالة، لأنهم صانعوا أجيال وبناء مجدها، هاجروا المحارب وحلقات الدروس إلى جبهات القتال. (شـهري، ع، 2007:09) وتُنف عائدا أحباس هذه المؤسسات المستقلة على بعضها البعض، وعلى أضرحة الأولياء والأشراف والمدارس التي أسسوها في حياتهم لتسديد التكاليف الجارية، ويُدفع نصيب من عائدات الحبوس إلى الفقراء وأوقاف بيت المال.

كانت مدينة الجزائر وحدها في مطلع ق 19م تضم أملاكا موقوفة على 19 واليا، منهم ضريح سيدي بن علال أمون ببلاد زاووة. (سعد الله أبو القاسم، 1981:142). ومن أشهر هذه المؤسسات الوقفية في العاصمة ترجع إلى ضريح سيدي عبد الرحمن

الثعالبي، (بودريعة، ي، 2007-2006:169) والتي بلغت أحباسها 72 عقارا، وكانت مدينة الجزائر تضم ما يزيد عن 92 مسجدا خاصا بإتياع المذهب المالكي، وكل مسجد يُمول من أوقافه الخاصة، (عقيل، ن، 2001:119) وتُقدر مداخيل مؤسسة أوقاف سبل الخيرات الحنفية ب 16 ألف فرنك فرنسي، بينما كانت مصاريفه 14.583 فرنك فرنسي. (لحمر، ك، 2010-2011:328). وكان نمو وتكاثر أوقاف الأولياء الصالحين راجع إلى تشجيع الحكام ورعايتهم لها بدافع الورع والتقوى أو سعيا للحصول على تأييد السكان المحليين. وكان آخر بايات وهران حسن باي (1827-1831) قد بني قبة ضريح سيدي علي بلعوفة سنة 1243هـ/1827-1828م. (سعيدوني، ن، 1979: 203).

#### 4-الوقف وتأثيره على الحياة الاجتماعية والثقافية:

كانت الأراضي التي حُبست للإنفاق على الأعمال الخيرية والمؤسسات الدينية والتعليمية، تغطي ثلاثة أرباع الأراضي الصالحة للزراعة بالمناطق التابعة للبايلك. (سعيدوني، ن، 1973:53). وأنواع الوقف كثيرة تستعمل في أغراض متنوعة، منها العناية بالعلم والعلماء والطلبة الفقراء والعجزة واليتامى وأبناء السبيل. ومن أهم أغراضه العناية بالمؤسسات التالية :

#### 1/4- المساجد ودورها في نشر الثقافة:

ووظيفتها الأساسية أداء الصلوات، وتحفيظ القرآن، وتعليم الفروض الدينية، وبعض العلوم الإسلامية والمساجد ثلاثة أنواع :

أ- المساجد التي أسسها حكام الأيالة والبايات كجزء من عملهم الوظيفي لخدمة الإسلام، وتيسير سبل أداء شعائر الدين، وكسب عطف الرعية. وقد تكون تلك الأعمال الخيرية البحث عن الشهرة والمجد. (بوعزيز، ي، 1965: 127) ومن هذه المنجزات الجامع الكبير بالعاصمة، وجامع كتشاوة (تعليق رقم3)، وجامع صالح باي، وجامع بن مروان بعنابة، وجامع الباي بقسنطينة، والجامع الكبير بتلمسان، وجامع الباشا بوهران الذي أسسه الداوي حسان (جيلالي، ع، 1995: 267) وأمر بينائه وتحمل نفقات البناء بعد فتح وهران النهائي سنة 1207هـ/1792م، وهو مسجد جامع ثبتت ذلك اللوحة الموجودة بمتحف أحمد زيانا بوهران، وهي لوحة تذكارية منقوشة على الحجر. وقد جاء فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على آل سيدنا محمد ومولانا محمد

وآله وصحبه وسلم تسليماً، الحمد لله وحده. هذا الجامع بناه المعظم الأرفع الهمام النفع مولانا السيد حسن باشا لإزالة أعداء الدين... "وحبس عليه عددا من الحوانيت والبيوت لتنفق على خدمة المسجد وعماره. (مهريس، م، 2009:37). كما أنشأ باي وهران محمد الكبير (1193-1212هـ/1779-1797م) مسجد محمد الكبير بوهران. ويظهر من خلال المئذنة أن هذا المسجد هو أجمل وأحسن مساجد وهران في الفترة العثمانية من حيث الرنقة والرشاقة والزخرفة، والإبداع الفني والاتساع، وأنهم قلدوا في بناء المآذن، مآذن المغرب والأندلس. وقد جاء في اللوحة المنقوشة على الحجر المثبتة على جهتها الجنوبية، هذا نصها: "الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد فقد أنشأ هذه المنارة الرفيعة المئذنة الرائعة البديعة عبد الله المجاهد سبيل الله السيد محمد بن عثمان باي الأيالة الغربية وتلمسان وفتح ثغر وهران كان الله له حيث كان سنة 1207هـ" (مهريس، م، 2009:40). وأقام العثمانيون قرب المساجد التي بنوها مدارس تابعة لها من مهامها نشر العلم والمعرفة بين الناس.

كان من عادات الدايات تخليد أسمائهم بالتقرب إلى الله عزّ وجلّ ببناء مدارس وأضرحة أو مساجد للعبادة، ولم يكد التاريخ يستثني أحدا من الذين تعاقبوا على السلطة أثناء العقود الأربعة الأخيرة من الحكم العثماني إلا وشيد مسجدا يحفظ ذكره، والآثار تدل على أن الحكام كانوا يشعرون ببعض الواجب الديني والاجتماعي نحو المجتمع الذي كانوا يحكمونه (سعد الله، أ، 1981:23)، غير أنهم لم يجعلوا تلك الأعمال من بين اهتماماتهم.

من آثار الدايات حسان باشا الخيرية (تعليق 4) (1205-1212هـ/1791-1797م) التي تعود بالنفع على البلاد والعباد وتمجيد الإسلام، أنه أنشأ ببلكور سبيل الماء، وفتح بئر ماء في ساحة بئر ماندرانس سنة 1212هـ/1791م. كما جدّد بناء جامع كتشاوة سنة (1417هـ/1794/1795م) (برواق، م، 2017:17)، وأنفق عليه أموالا طائلة، وبذل في إتقانه ورونقه، وجلب له مواد البناء من جهات عديدة، خاصة سواريه الرخامية من إيطاليا. وكان نقيب النجارين أحمد بن البلاط قد باشر بنفسه صنع تاج المسجد المرّم المنقوش. وعند الاحتلال حُول المسجد إلى كاتدرائية القديس فليب يوم 24

دجنبر 1832م، وذلك حينما أقدم الجنرال (روفيفغو) (حاج سعيد، م، 2014-2015: 71) على إخراج جميع المصاحف من المسجد وإحراقها في ساحة الماعز (ساحة الشهداء)، ولما رفض المصلون المعتصمون داخل المسجد إخلاءه والجلء عنه قتل عسكر فرنسا المئات منهم. وظل المسجد على حاله إلى أن أعيد إلى عهده الأول يُذكر فيه اسم الله. وكانت أول جُمعة أقيمت في هذا المسجد العتيق يوم 2 نوفمبر 1962م، وقد أمَّ جموع المسلمين أمير اللغة العربية، العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين ورئيسها فيما بعد رحمه الله. (غربي، ش، 2019: 12-28)

كما أنشأ حسان باشا مسجد علي بتشين بباب الوادي الذي حُول بدوره إلى كنيسة سنة (1259هـ/1843م). وقد أوقف على العيون والمسجدين ضياعا عديدة ومصحفا جليلا كان قد أهدها السلطان للداي الذي أوقفه بدوره على الجامع الجديد سنة 1199هـ/1784-1785م، كما هو مثبت على ظهره. وبعد الاستقلال نقل المصحف الكريم إلى إدارة المتاحف والآثار للمحافظة عليه من الضياع، والعناية بشأنه خشية تآكل أوراقه. (جيلالي، ع، 1994: 271).

ب - والنوع الثاني من المساجد مما أسسه الأثرياء للتقرب إلى الله عملا بقوله صلى الله عليه وسلم " من بنى مسجدا لله بنى الله له قصرا في الجنة". ومنهم من كان يرغب في كسب الشهرة. ومن بين هذه المساجد التي بُنيت في هذا الإطار، جامع سيدي لخضر بقسنطينة الذي بناه الباي حسن بوحنك سنة 1156هـ، وأوقف عليه عدة أوقاف. ومسجد سيدي رمضان، ومسجد عبد الرحمن الثعالبي بالعاصمة، (عقيل، ن، 2011: 160) ومسجد سيدي الصوفي ببجاية، ومسجد سيدي الهواري بوهران، ومسجد سيدي الحلوي، ومسجد أبي مدين الغوث بتلمسان.

ج - ونوع ثالث مما أسسته الهيئات والجمعيات الخيرية والدينية والاجتماعية تكملة لعمل الولاية وكبار الأغنياء وشيوخ الدين.

تحتل أوقاف المساجد المرتبة الثانية بعد أوقاف الحرمين، وهذا يعود أساسا إلى الدور الذي يلعبه الجامع في الحياة الثقافية والاجتماعية والدينية. وكانت أوقاف المسجد الأعظم بمدينة الجزائر تناهز 550 وقفا. وهي تشتمل منازل وحوانيت وضيعات.

سعيدوني، ن، (1979:150). وكانت تصرف عوائد أوقاف الجامع الأعظم على الأئمة والمدرسين والمؤذنين والمقيمين، إضافة إلى أعمال الصيانة وسير الخدمات الوقفية. العناية بالمساجد كانت ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري ولا زالت مستمرة، لأن المسجد هو ملتقى العباد لأداء الشعائر الدينية، ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، وهو قلب القرية في الريف، وروح الحي في المدينة. كان تشييد المساجد عملا فرديا بالدرجة الأولى، فالغني المحسن هو الذي يتولى بناء المسجد، ويشترك معه سكان المنطقة بالتبرعات. والدولة لم تكن مسؤولة على بناء المساجد، وإذا بنى أحد الباشوات مسجدا فإنما يبنيه من ماله الخاص، ويوقف عليه من أملاكه (سعد الله، أ، 1981:244-245).

تختلف الإحصاءات عن عدد المساجد في المدن الجزائرية خلال العهد العثماني، بل أن بعض المدن لا تكاد المصادر تذكر له إحصاء. وتكتفي معظم المصادر بالحديث عن المدن الرئيسية. كما أن بعضها لا يذكر إلا الجوامع التي تقام فيها خطبة الجمعة، والبعض الآخر يجمع ما بين الجامع والمسجد والزاوية دون تمييز في وظيفتها. ورغم كثرة المساجد فإن بعض الكتاب فقد اشتكوا من عدم العناية بها. كثرت المساجد الرائعة الجمال بالدولة العثمانية التي أنفق عليها السلاطين أموالا باهظة، وجلبوا لها مواد البناء من كل الجهات، وشارك في بناءها العمال المهرة، وما زالت إلى يومنا هذا تعتبر مفخرة الدولة الإسلامية. ومن بين هذه المساجد، مسجد السلطان أحمد، أو الجامع الأزرق (تعليق 5) الواقع باستانبول، وهو جامع مُذهل في عمارته، يُعدّ أحد أهم وأضخم المساجد في العالم الإسلامي.

#### 2/4- دور الكتاتيب القرآنية في التعليم:

وظيفة الكتاتيب القرآنية (تعليق رقم 7) تحفيظ القرآن الكريم للصبيان ذكورا وإناثا. وهي تقع في المداشر وأحياء المدن، في غرف تابعة للمسجد، ويستخدم التلاميذ ألواحا ملساء، مختلفة الأحجام، تطلّى بالصلصال، ويكتب عليها بالمداد المصنوع من وبر الهائم وأصوافها لتحفيظ القرآن الكريم، وأقلام من القصب للكتابة، وأقلام رصاص لمساعدة المبتدئين على رسم الحروف، وكتابة الكلمات. وكان تعليم القرآن يطلق عليه بالتعليم الابتدائي، وهو ما يعرف بالتعليم القرآني حاليا. ويتعلم الصبيان

النطق الجيد السليم للآيات والسور القرآنية، حفظا وتلاوة ورسما، ويطلعون على الفرق بينها وبين ما اتحد معها في الصورة وخالفها في المعنى، (شريدح، س، ب، 2012:236).

معلم القرآن يسمى بمسميات كثيرة منها: الفقيه، الشيخ، الطالب. وينتهي عادة إلى الطبقة الفقيرة. يتقدم لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم، حفظا ورسما حسب رواية ورش عن الإمام نافع، بالخط المغربي. مقابل راتب يقدم له في شكل محاصيل زراعية، وبقول، وثمار مختلفة وحطب، وعلف لدابته التي يركبها. ويشترك كل سكان القرية في تقديم (الشرط) لمعلم القرآن، الذي يشارك الأهالي في أفراحهم، حيث يعقد للمتزوجين قرانهم، ويصلي على موتاهم، ويؤمهم في الصلوات الخمس وفي صلاة العيدين وصلاة الاستسقاء.

كان المشرف على هذا التعليم هو إمام المسجد، ويتولى مباشرته نخبة من حفظة القرآن تراعى فيهم عدة مقاييس، من بينها الاستقامة وحُسن السيرة والسمعة الطيبة. كان بالعاصمة ثمانية كتاتيب (مسيد) لتعليم وتحفيظ كتاب الله. وكثيرا ما كانت هذه الكتاتيب تأوي الطلبة المسافرين الذين يلتجئون إليها لحفظ القرآن. وكان سكان القرى والمدن يوفرون لهم الإطعام بعد صلاة المغرب. ولم يكن التعليم في الكتاتيب مقتصرًا على حفظ القرآن الكريم، بل يضاف إلى ذلك تعليم المبادئ الدينية كأحكام الطهارة والعبادات والعقائد، وحفظ مختصر سيدي خليل .

كان لهذا التعليم نظام داخلي يلتزم به المعلم والتلميذ على السواء، ويُحدّد مسبقا أوقات الدراسة والراحة الأسبوعية، وأجرة المعلم التي كانت في الغالب مما ينتجه أهل البلد، وما يقدمه التلميذ من دراهم معدودة في نهاية الأسبوع وعند الختم. (عزيز أحمد، كتاتيب تحفيظ القرآن، مقصد مفضل لأطفال المدارس الجزائرية صيفا، نت، وكالة، أ، 30-07-2017).

#### 3/4 - أهمية مؤسسة الحرمين الشريفين:

تعود في نشأتها إلى ما قبل العهد العثماني. وتعود أموال أوقافها إلى فقراء الحرمين الشريفين لمكة المكرمة والمدينة المنورة، والقدس الشريف. توجه الأموال تارة بالبرّ مع قافلة الحجاج، (عباد، ص، 2005:56) وتارة بحرا إلى الوكالة الجزائرية بالإسكندرية في سفن إسلامية وغيرها، ومنها توجه إلى الحرمين كل سنتين





فتقدّر بثلاثة أرباع الأوقاف العامة. منها 92 حانوتا، منها 8 كانت مستغلة من قبل اليهود. (مسدور، ف، 2019:5) وهذه إشارة واضحة لسماحة الإسلام والمسلمين وعدم التمييز في من يتعامل مع الأوقاف على أساس احترام القواعد العامة، دون مراعاة لدينه، أو عرقه. وكان اليهود (قرايفة، ج، 2018-2017:17) يعيشون بالجزائر في أمن وأمان، ويُعاملون كمواطنين من أهل الذمّة. قدّرت مداخيل هذا الوقف بنحو 4455 ريال سنويا، يضاف إلى هذا العدد من الجوانيت أربع مخازن مُلحقة بالفنادق غلتها السنوية تقدر ب 156 ريالا، زيادة على دخل حمامين السنوي المقدر ب 165 ريالا.

قامت هذه المؤسسة الوقفية بعد محنة سكان الأندلس الذين نزحوا من ديارهم لبلدان المغرب العربي، واستقروا في المدن الساحلية، وساهموا في الحرب ضد الأسبان بالخبرة والمال والرجال. وترجع أولى عقود هذه المؤسسة إلى سنة 980هـ/1572م.

#### 1/5-أوقاف الأندلسيين:

أسس الوافدون من الأندلس بعد النكبة هذه الأوقاف بتشجيع من السلطة التي كانت تتعاطف مع المورسكيين، حيث كانوا يهدفون من ورائها إلى التضامن فيما بينهم من جهة، وإلى خدمة فقرائهم من جهة أخرى. اشترى هؤلاء النازحون دارا كبيرة وحولوها بالبناء إلى مدرسة ومسجد وزاوية خاصة بهم. وكانت هذه الجمعية الأندلسية مكونة من ستة أشخاص من المهاجرين الأندلسيين. تنوع وقف المؤسسة فيما بعد وأصبح يمثل 40 بناية، و61 مكانا دينيا تزيد مداخيلها السنوية على خمسة آلاف فرنك. (سعد الله أبو القاسم، 1981:115)

#### 2/5-مؤسسة أوقاف بيت المال .

تعتبر مؤسسة بيت المالجي (تعليق 6) من التقاليد العريقة للإدارة الإسلامية بالجزائر التي تدعمت في العهد العثماني وأصبحت تتولى مراقبة تركات جميع الأشخاص الذين يتوفون. ولا يُقبر الميت إلا بأمر من رئيس الهيئة الذي يُعين حقوق الورثة. وإذا كانوا متغيبين فإن القاضي هو الذي يقوم بتعيين وكيل عنهم، ويُعين أوصياء بالنسبة للناصرين. وإذا كان الميت أجنبيا أو مجهولا أو كان أهله متغيبين فإن الهيئة تمثلهم

وتبيع الشركة بالمزاد، وتحتفظ بالقيمة كوديعة لدى الهيئة، ويوضع المبلغ في صندوق عمومي، ويُسجّل مقداره في ثلاثة سجلات (خوجة حمدان ،ب، 1982:135) وتستعمل أموال هذا الصندوق إعانة أبناء السبيل ويتامى الفقراء والأسرى. وتشرف على إقامة المرافق العامة من طرق وجسور، وتشيد أماكن العبادة. كما كانت تهتم بالأماك الشاغرة. وكان يشرف على هذه الهيئة الخيرية موظف سام هو بيت المالجي ( Renedot, M , 1830 :101) الذي يراقب الأملاك والثروات التي تعود للدولة نتيجة المصادرة أو انعدام الورثة. كما يقوم بحفظ الودائع وتسيير أملاك الغائبين والتصرف فيها. ويساعده قاضي يلقب بالوكيل، وموثقان، يعرفان بالعدول.

3/5-أوقاف المرافق العامة:

في غياب هيئات عمومية تشرف على المرافق العامة، التجأ المحسنون إلى وقف ممتلكاتهم لخدمة الصالح العام. فأوقفوا عدة أملاك داخل مدينة الجزائر وخارجها للإنفاق على المرافق العامة، كالطرق، والسواقي والآبار، والحنايا والأقنية، وذلك لما لها من منافع عامة. وكانت هذه المرافق تحظى بالعديد من الأوقاف، ويشرف عليها وكلاء وشواش، يُعرفون بأمناء الطرق والعيون والسواقي. (مسدور، ف، 2019:06).

4/5-مؤسسة الأوجاق:

كان لكل الثكنات السبع الموجودة بمدينة الجزائر أوقافها الخاصة بها، التي ترجع مداخيلها إلى الجنود المقيمون في غرفها التي كانت تأوي ما بين 200 و300 رجل للغرف الصغيرة، وما بين 400 و600 للغرف الكبيرة. (مسدور، ف، 2019:07) ويعود أصل هذه الأوقاف إلى الضباط الذين ترقوا في الخدمة، واكتسبوا أموالا أوقفوها لهذه الفئة من الإنكشارية. وكان صالح باشا قد أنفق على الثكنة التي سُميت باسمه عقارا عدد غرفه ست وعشرون غرفة تأوي ألفا ومائتين وستة وعشرين (1226) عسكريا. (جفار، س، 2013-2014:87) وقد ارتبطت أهمية العقار الموقوف بأهمية الارتقاء في الرتبة أو المنصب الذي يتولاه الواقف. وكان وكيل المؤسسة يعين من قبل مقيمي الثكنة دون تدخل من السلطة المحلية. مما يُضفي على هذا الوقف استقلالية في التسيير.

6/ المصادر المالية لمؤسسات الوقف:

تعتمد هذه المؤسسات الوقفية من الناحية الاقتصادية على مصدرين مهمين هما

:

أ- الإعانات (بوعزيز، ي، 1999:138) التي يقدمها المحسنون في شكل نقود، وبضاعة، ومواد غذائية، وألبسة، وحيوانات، وأفرشة، وغيرها من المواد النفعية.  
ب- أموال الحبس والأوقاف الإسلامية التي يوقفها عليها الأشخاص والهيئات الخيرية، والجماعات، والولاء، والأمرء. وتتنوع من أراضي زراعية، وحقول وبساتين، وأشجار مثمرة، وغلل، وحيوانات حلوبة، ومحلات تجارية، وحمائم، وحمائم معدنية تُدرّ عليها الأموال اللازمة لصرفها على الاحتياجات المختلفة. ونجد كثيرا من الوقفيات التي أوقف فيها أصحابها أملاكهم على أنفسهم، ثم ذريتهم، ثم أحفادهم وفروعهم من بعدهم، قبل أن تؤول الأوقاف إلى إحدى المؤسسات الوقفية، وذلك لمنع الدولة من الاستيلاء على أملاك الواقف عند وفاته، أو عند انقراض نسله. كما أن بعض أوقاف المساجد قد أوقفها عثمانيون كانوا قبل إسلامهم يدينون بالنصرانية، أمثال الحاج حسين ميـرزو مورطـو. (سعد الله، أ، 1981:232).  
أما الزاوية فتتفرد بمصدر آخر يتمثل في أموال الزيارات والوعادي التي يقدمها الإخوان والموردون والمحبون على شكل نقود وبضائع ومواد متنوعة، وأفرشة. وكثيرا ما يجوب الطلبة والموردين الحقول والبساتين والمنازل لجمع الصدقات والزيارات في موسم جمع الغلال، مثل موسم جني الزيتون والتمر والزبدة والحبوب وغيرها مما توجب فيه الزكاة. (سعد الله، أ، 1981:232)

بفضل هذه الأموال والصدقات تتولى المؤسسة الوقفية الإنفاق على من هم في حاجة إلى العطايا والدعم المادي عند حدوث الجفاف وانتشار المجاعة والكوارث الطبيعية الأخرى. تظهر أهمية الوقف الذي شجعه العثمانيون في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية، فهو يضمن العيش للزوايا والأضرحة واستمرار نشاطها، كما أنه مصدر الحياة للمساجد والمدارس والكتاتيب القرآنية، ومعيشة المعلمين والطلبة، ويُعدُّ من أنواع التكافل الاجتماعي.

للووقف تأثير ديني وسياسي خارج حدود الأيالة، تمثل في إرسال (الصَّرة) إلى فقراء مكة والمدينة المنورة. حيث كانت توجه أموال الحرمين الشريفين إلى فقراء مكة

والمدينة في مطلع كل سنتين عن طريق مبعوث شريف مكة، أو بواسطة ركب الحجاج. وكان حامل الصرة الرسمية هو أمين بيت المال، ويشترك معه في الوفد أمراء وعلماء البايك بالأيالة. (سعد الله، أ، 1981:236) وقد نالت مرتبة مؤسسة الحرمين أهم قسط من العقار الموقوفة، وقدّر فليب فالير قنصل فرنسا بالجزائر أواخر ق 18م حجم اتساع أوقاف الحرمين الشريفين، حيث يقول ".... تستحوذ مؤسسة أوقاف الحرمين على جميع العقارات..." (غطاس، ع، 2001:141) وكان مجلس أوقاف مكة والمدينة يتكون في العادة من شخصين تركيين عسكريين، واثنين مدنيي. (سعد الله، أ، 1981:235). وكان ساري مصطفى بن الحاج محمد بيت المالجي (لنوار، ص، 2016:90-91) الذي بنى مدرسة لتعليم الصبيان وزاوية لسكنى الطلبة، وكان يحمل صدقة الحرمين مع موكب الحج باسم (أمين الصرة). (سعد الله، أ، 1981:236) كما كانت ترسل صدقات إلى فقراء بيت المقدس الذي يوجد به حي يُسمى حارة المغاربة خير مثال على أن الأموال كانت تصرف على أهلها.

#### خاتمة:

- بالرغم من أن الجزائريين والعثمانيين ينتمون لدين واحد، وعاشوا جنبا لجنب مدة ثلاثة قرون ونصف القرن، إلا أنهم لم يتعرفوا على بعضهم البعض معرفة دقيقة، وصنف لأتراك الأهالي ووضعهم في مرتبة دنيا.

- حافظ العثمانيون على الطابع الديني والاجتماعي الذي وجدوا عليه أهل البلد عندما استنجد بهم الأهالي لتحرير البلاد، وشكلوا هيئة مستقلة عن السلطة الإدارية لمراقبة مدى تطابق القانون مع الشرع. وبعدما استأثر الولاة بشؤون الحكم، وانطفأ العلم، وانقلبت القوانين، وانتشر الفساد مُنحت المناصب الدينية لغير أهلها من العلماء والفقهاء.

- انتشرت الطرق الصوفية في ربوع البلاد بتشجيع من الحكام الذين رأوا في المرابطين الفئة الأقرب إليهم. واستمر هذا التحالف بين الطرفين لمدة قرنين ونصف قرن، من أجل طمأنة المرابطين وإبعادهم عن اللجوء إلى القيام بالثورات. ورغم ذلك فقد ثار كثير من المرابطين والعلماء في وجه الإدارة العثمانية بالجزائر. من بينا الطرق الصوفية التي انتشرت في الدولة العثمانية والجزائر، الطريقة الصوفية

البكتاشية، والطريقة المولوية، والطريقة الرحمانية. وبعدهما ازدهر التصوف في المدن، انتقل إلى الريف على يد أتباع كبار الأولياء، وهذا ما ساعد على نشر الإسلام، وصهر القبائل في وحدات اجتماعية أكبر. كما نجحوا في إدماج عنصر العرب بالبربر. -أشرك العثمانيون رجال الطرق الصوفية في تسيير الشؤون العامة للأوقاف، وجعلوا أوقاف الحرميين الشريفين في المرتبة الأولى من حيث العناية وتسيير وتنظيم المؤسسة من قبل الإدارة والأهالي لارتباطهم الوثيق بالبقاع المقدسة. -تأتي المساجد والكتاتيب القرآنية والزوايا في المراتب الأولى لاهتمام الأهالي بهذه المؤسسات الثقافية والروحية التي تعمل على نشر الإسلام والعلم في صفوف الأهالي. كما أن مؤسسة أوقاف بيت المال، وأوقاف المرافق العامة، ومؤسسة الأوجاق، ومؤسسة المرافق العامة كان لها من الاهتمام ما جعلها تقوم بوظيفتها في أحسن الأحوال، في خدمة المرافق العامة، وتقديم العون للأهالي عند الحاجة.

#### التعليق:

**تعليق 1: المفتي:** هو أعلى منصب ديني، وقد لعب دورا سياسيا ودينيا هاما باعتباره الشخصية الأكثر مهابة وتقديرا في الدولة بعد السلطان مباشرة، فهو الذي يُصدر فتاوى تتناول مسائل تتصل بالسياسة العليا للدولة، كإعلان الحرب على الدول المعتدية، أو التنازل عن أقاليم، أو عزل السلطان، والتأكيد على مطابقة القوانين وعدم مخالفتها للشريعة الإسلامية. (عبد المنعم، ف، 1417هـ: 25-34)

**تعليق 2:** ويُقصد بالبكتاشية "العبد الصالح"، وهي طريقة صوفية شيعية نشأت في القرن 13 م، وتُنسب إلى الحاج بكتاش. (المعبدى، ح، ع، 2009، 75)

**تعليق 3:** وأمر ببنائه وتحمل نفقات البناء بعد فتح وهران النهائي سنة 1207هـ/1792م، (جيلالي، ع، 1995، 267)

**تعليق 4:** اثار الداوي حسان (1205-1212هـ/1791-1797م) باشا الخيرية (برواق، م، 2017: 17) التي تعود بالنفع على البلاد والعباد وتمجيد الإسلام، أنه أنشأ ببلكور سبيل الماء، وفتح بئر ماء في ساحة بئر ماندرائس سنة 1212هـ/1791م. كما جدّد بناء جامع كتشاوة سنة (1417هـ/1794/1795 م) (برواق، م، 2017: 17)، وأنفق عليه أموالا طائلة، وبذل في إتقانه

ورونقه، وجلب له مواد البناء من جهات عديدة، خاصة سواريه الرخامية من إيطاليا. وكان نقيب النجارين أحمد بن البلاط قد باشر تعليق 5: الجامع الأزرق باسطنبول، جامع مذهل (عدنان، ع، نت، 31 ماي 2019: الصفحات لم تذكر) الجامع الأزرق: جامع السلطان أحمد، أو الجامع الأزرق، بني عام 1609-1616 بإشراف المهندس محمد آغا. سمي بهذا الاسم لأن جدرانه الداخلية مزينة ببلاط إزنيك الأزرق المزخرف. ويتميز بأثار بصمات الفن المعماري البيزنطي والعثماني، له ست مآذن تتوسطه قبة كبيرة يحفها أربعة أصناف قبة، وكل ركن من أركان المسجد مغطى بقبب صغيرة. وزاد موقعه المطل على بحر مرمرة مقابل مسجد آيا صوفيا، واحتواؤه على أكثر من 200 نافذة قدزاده بهاء ورونقا.

تعليق 6: بيت مالجي، ص، 2019: 90) تعتبر مؤسسة بيت المالجي، من التقاليد العريقة للإدارة الإسلامية بالجزائر التي تدعمت في العهد العثماني وأصبحت تتولى مراقبة تركات جميع الأشخاص الذين يتوفون. ولا يمكن أن يقبر الميت إلا بأمر من رئيس الهيئة الذي يعين حقوق الورثة. وإذا كانوا متغيبين فإن القاضي هو الذي يقوم بتعيين وكيل عنهم، وأوصياء بالنسبة للقاصرين.

تعليق 7: الكتابات القرآنية (تراري، م، 2001: 16) تحفيظ القرآن الكريم للصبيان ذكورا وإناثا. وهي تقع في المداشر وأحياء المدن، في غرف تابعة للمسجد، ويستخدم التلاميذ ألواحا ملساء، مختلفة الأحجام.

#### المصادر والمراجع:

- 1/ بوعزيز يحيى (1965)، موجز تاريخ الجزائر. ج 1. ط 1، بيروت، دار الطليعة.
- 2/ بوعزيز يحيى، (1991)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، الجزائر، ديوان المطبوعات.
- 3/ بن عيسى فاطمة، (2020)، الحملة الانجليزية الهولندية على إيالة الجزائر 1816 من خلال وثائق مركز الأرشيف الوطني الجزائري ووثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، "مجلة التاريخ المتوسطي"، بجاية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 2، ع 2، (01)، (228-248).
- 4/ بن عتو بلبروات، (2003) "الباي محمد الكبير، باي وهران 1779-1797 م". مجلة عصور، مخبر بحث مصادر وتراجم، جامعة وهران 1، مج (02)، ع (01)، (272-263...).

- 5/بودريعة ياسين، (2006-2007)، أوقاف الأضرحة والزوايا لمدينة الجزائر وضواحيها خلال الحكم العثماني، من خلال المحاكم الشرعية، وسجلات بيت المال والبايك، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تاريخ حديث، جامعة يوسف بن خدة.
- 7/بوناني الطاهر، (2004)، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين، 12 و13 الميلاديين، نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي، عين مليلة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
- 8/برواق مليكة، (2017)، البعد الجمالي للعمارة العثمانية بمدينة الجزائر (دراسة معمارية أثرية وجمالية لجامع كتشاوة)، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد (1) عدد (1)، (صص: 12-28)
- 9/ بونقاب مختار، (2008)، انتفاضة درقاوة في بايليك الغرب الجزائري 1802-1816، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ج. معسكر، مج. (03) عدد (01)، (135-142)
- 10/بوسعيد عبد الرحمن، (2011-2012)، الأوقاف والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، في إطار المدرسة الدكتورالية-الدين والمجتمع-جامعة وهران 2، كلية العلوم الاجتماعية .
- 11/تميمي عبد الجليل، (1986)، الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني. الجزء 1 و2، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية عن الولايات العربية في العهد العثماني، تونس. مطبعة الاتحاد التونسي للشغل.
- 12/ تميمي عبد الجليل، (1988)، جمع وتقديم الحياة الاجتماعية في الولايات العثمانية أثناء العهد العثماني، تونس، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية و الموريسكية و المعلومات.
- 13/ تراري مختارية، (2001)، "التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة"، مجلة إنسانيات، مركز البحوث في الأنثروبولوجيا، وهران، (صص 57-66).
- 14/جيلالي عبد الرحمن بن محمد، (1995)، تاريخ الجزائر العام، الجزء الثالث، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.



- 15/حبوسة أبو بكر، (2018)، "دور الوقف في دعم المؤسسات الخيرية بالجزائر"، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، جامعة تمراست، المجلد (07)، العدد (04)، (صص 500-515).
- 16/حاج سعيد محمد، (2014-2015)، القصبة في العهد العثماني تاريخها، ودورها، وعمارها، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة وهران 1، قسم العلوم الإسلامية.
- 17/خط همايون، سنة، 1239، عدد 39544، الجزائر، المكتبة الوطنية.
- 18/دويذة نفيسة، (2015)، "المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية"، إنسانيات، مركز البحوث الأنتروبولوجيا، وهران، عدد (68). (صص 11-34).
- 19/زكية زهرة، (2001)، "الأهمية التاريخية لأوقاف الأحناف بمدينة الجزائر، من خلال ثلاث نماذج من الوثائق"، مجلة الدراسات الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، عدد خاص بإعمال ندوة الجزائر حول الوقف في الجزائر أثناء القرنين 18 و 19، ماي 2001.
- 20/زكريا أحمد، شيخ الإسلام العثماني... الرئيس الديني للدولة. مجلة نون بوست، 23-06-2019. الموقع الإلكتروني <https://www.moonpost.com>
- 21/سعد الله أبو القاسم، (1982)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث الى بداية الاحتلال. الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 22/سعد الله أبو القاسم، (1978)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 23-سعد الله أبو القاسم، (1982-1)، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى الرابع عشرهجري (16-20)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 24/سعيدوني ناصر الدين، (1979). النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830. الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 25/سعيدوني ناصر الدين، الجزائر تطلعات و آفاق-مقاربة للواقع الجزائري من خلال قصايا و مفاهيم تاريخية، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- 26/-سعيدوني ناصر الدين، الشيخ المهدي البوعبدلي، (1984)، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

- 27/لنوار صبرينة، (نيسان 2016)، آليات تسيير مؤسسة بيت المال في الجزائر خلال العهد العثماني. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل.
- 28/سيد محمود(1999)، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.
- 29/سلطاني أحمد، (سبتمبر 2018) "من قضايا الإصلاح عند المفتي الجزائري 1775-1850"، العبر للدراسات التاريخية والأثرية، جامعة ابن خلدون، تيارت، المجلد (01) العدد(02)، (صص301-293).
- 30/ شهيبي عبد العزيز، (2007)، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع.
- 31/شريط عبد الله، وميلي مبارك(1985)، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- 32/عباد صالح (2005)، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر.
- 33/ شريح سعيد بن أحمد (2012)، تقويم طرق تعليم القرآن وعلومه في مدارس تحفيظ القرآن الكريم، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
- 34/عدنان عبد الرزاق، (31 ماي 2019)، الجامع الأزرق...ترميم بعد 400 عام للحفاظ على هيبته، مجلة الجديد العربي،.
- 35/عيد إبراهيم محمد، (1998)، رباعيات مولانا جلال الدين الرومي، القاهرة، دار الأحمدي للنشر.
- 36/ مشهداني مؤيد محمود حمد، (2013)، "أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (مجلة علمية محكمة)، المجلد(5) (41صص411-455)
- 37/معبدي حنان عطية الله ضيف الله، (2009)، التصوف وآثاره في تركيا إبان العصر العثماني (عرض ونقد)، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، قسم الدراسات الإسلامية..

- 38/ قلالوة صهيب، مسجد السلطان أحمد.. تحفة معمارية عثمانية تدهش السياح، وكالة أناضول، اسطنبول، 04-07-2019. (Devoulx,A.,1870:240)
- 40/ عبد المنعم فؤاد أحمد (1417هـ)، شيخ الإسلام ابن تيمية والولاية السياسية الكبرى في الإسلام، السعودية، دار الوطن.
- 41/ عطية محمد، (2017) "محن الجزائر في عهد الداوي عمر 1815-1817، ومواقفه منها"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مجلة دورية دولية محكمة، العدد 13، (299-318)
- 42/ عبو إبراهيم، (2016)، الثورات المحلية في الجزائر خلال العهد العثماني، وموقف العلماء منها، متون العلوم الاجتماعية، المجلد الثامن، العدد (03) (ص 296-307).
- 43/ غربي شميصة، (28-12-2011)، أول خطبة بعد عيد الاستقلال، مسجد كتشاوة للشيخ البشير الإبراهيمي، مجلة دنيا الوطن، رام الله.
- 44/ عباد صالح (2005)، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر.
- 45/ عقيل نمير، (2001)، "أوقاف مدينة الجزائر في القرن م18"، مجلة الدراسات الإنسانية، الجزائر، ج.02. (ص 32-51)
- 46/ عقيل نمير، (2011)، "المؤسسة الوقفية الجزائرية في العصر العثماني ودورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (أوقاف المساجد التابعة لمؤسسة سبل الخيرات نموذجا)"، مجلة دراسات تاريخية، قسم التاريخ، جامعة دمشق، العدد 115-116، (69-84).
- 47/ عزيز أحمد، (30-07-2017)، كتاتيب تحفيظ القرآن، مقصد مفضل لأطفال المدارس الجزائرية صيفا، وكالة الأناضول.
- 48/ عقبي صلاح مؤيد، (2002)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشأتها، بيروت، دار البراق، مكتبة الشرق.
- 49/ غربي الغالي، (2007)، دراسات في الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288/1916، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- 50/ غطاس عائشة، (2001)، "حول الوثائق المتعلقة بأوقاف الحرمين الشريفين لمدينة الجزائر"، مجلة الدراسات الإنسانية، العدد 02، المجلد (01). (137-150)

- 51/غالم محمد، (2018)، "تحرير وهران في 27 فبراير 1792: الحدث والرمز"، مجلة إنسانيات، عدد(79)، (9-29)
- 53/كيدو أكرم، ترجمة أيوبي هاشم، (1992)، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، لبنان، منشورات جروس برس.
- 54/كرم محمد، (2016)، الصوفية أصل حكاية الموسيقى العربية، الجديد العربي.
- 55 / لحر كمال، (2010-2011)، "صورة المجتمع الجزائري في la revue africaine 1856 -1962"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم الاجتماع التنموية، قسنطينة، جامعة منتوري 2011.
- 56 / مزارى الأغابن عودة، (د ت)، تحقيق بوعزيز يحيى، طلع سعد السعود، جزء (1)، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- 57 /مسدور فارس (2019)، التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف التاريخ الحاضر والمستقبل، جامعة الجزائر، مجلة أوقاف، مجلد12، عدد03، (175-214).
- 58/مهيريس مبروك، (2009)، المساجد العثمانية بوهران و معسكر ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- 59/مدني أحمد توفيق، (1874)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، 1168-1248، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 60/ ناقيتش عمر، (1960) دراسة وتحقيق، رسالة في إصلاح الدولة العثمانية في القرن 19 م، الشيخ حسن كافي الأفحصاري، ورسالته " أصول الحكم في نظام العالم"، المجلة التاريخية المصرية، المجلد (18)، (121-135).
- 69/ هلايلي حنيفة، (2018)، أوقاف الحرمين الشريفين في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني من خلال المصادر المحلية، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد(09)، العدد(01) (131-151)
- 70/هلايلي حنيفة، (2006)، "الثورات الشعبية في أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مجلد 21، العدد1، (189-204)
- 71/هلايلي حنيفة، (2008)، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزائر، عين مليلة، دار الهدى.

72/Devoux ,A, Les édifices religieux de l'ancien alger ,extrait de la revue africaine Typographie Bastide ,Alger.1870 :1-265.

73/kaddache Mahfoud ,(2003), .lAlgerie durant la periode ottomane, Alger office des publications universitaires.

74/ Renedot,M ,(1830), tableau du royaume de le la ville d'Alger et de ses environs, paris.

75/Saidouni nacer eddine,(2004) , les liens de l'Algérie ottomane avec les lieux saints de l'islam à travers les rôles de la fondation du waqf des haramayn ,yuan.